# سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغاياتها

الدكتورة وسن محمود لطيف

الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات

**الملخص**

(سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغايتها).

قسمتُ البحث على مقدمةٍ ومبحثين وخاتمة.

درستُ في المبحث الأول: الدعاء، وهو تعبير عن ظاهرةٍ روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة، وقد قسمتهُ على مطلبين.

ضم الأول: سياق الحال الذي كان جزءاً من سياق المقام، وهو يصور الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم.

أما المطلب الآخر: فقد شرعتُ فيه بالحديث عن السياق التربوي في القرآن الكريم، وهو سياق جزئي، لهُ ارتباط وثيق بسياق الحال، أو سياق المقام، وقد تخصص السياق التربوي هنا في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الأنحراف إذا لم تنضبط باليقظة الدائمة.

وفي المبحث الثاني: تناولتُ الابتهال، ووصحتُ فيه أن الابتهال لا يكون إلا لله وحدهُ لا شريك لهُ، وأن حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهال لهُ، ثم حقيقة أن الدنيوية لا تكون إلا لله القيوم. الواحد الأحد.

**Abstract**

This paper is titled (contexts of supplications and invocations in Surat AL-Imran and their objectives)

So, the paper is divided into introduction, two chapters and conclusions.

And the first chapter deals with supplication, it means an independent spiritual phenomenon derived from believers, and it sub-divided into two demands:

The first one included context of manner which is part of context of situation. Moreover, it depicts the social, psychological and cultural environment of the speaker whereas; the second one was about the context of pedagogy in the Glorious Qur'an, it is a partial context deeply related to context of manner or context of situation. Furthermore, the context of pedagogy is specialized in Muslim group pedagogy that discovers the hidden instinctive motives where deviation is started from this point if there is no permanent vigilance.

As for the second chapter, it is about invocation and I explained that invocation must be for Al-mighty Allah only; the reality of Al-mighty Allah's oneness of invocation is for him only. Then, the worldly reality is dedicated for Al-mighty Allah as well.

# مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة مهداة إلى العالمين وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعين أجمعين.

وبعد...

فقد جعل الله الوجود متسقاً في كائناتهِ وموجوداتهِ، منتظماً من مبدئهِ إلى معادهِ، وأنزل كتاباً تناسقت حقائقهِ وتناغمت مع حقائق الكون بما بهر عيون الناظرين، وأبصر به قلوب الغافلين، فتجلت أبصار الحقائق وعيون المعاني بانتظامِ الكتاب المنشور واتساقهِ، مع الكتابِ المسطورِ، فأُشرب الكون ماء حياتهِ، وأعطى حقه ومستحقه، من صفات الكمال الدالة على صاحب العدل المطلق، فوجد الأشياء بعد فنائها، فلهُ المجدُ الأسنى.

وقد يسر الله لي أن أحظى بشرفِ خدمةِ كتاب الله، وأن أرتبط بهِ من خلالِ موضوع بحثي هذا، وهو (سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغايتها).

قسمتُ البحث على مقدمةٍ ومبحثين وخاتمة.

درستُ في المبحث الأول: الدعاء، وهو تعبير عن ظاهرةٍ روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة، وقد قسمتهُ على مطلبين.

ضم الأول: سياق الحال الذي كان جزءاً من سياق المقام، وهو يصور الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم.

أما المطلب الآخر: فقد شرعتُ فيه بالحديث عن السياق التربوي في القرآن الكريم، وهو سياق جزئي، لهُ ارتباط وثيق بسياق الحال، أو سياق المقام، وقد تخصص السياق التربوي هنا في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الأنحراف إذا لم تنضبط باليقظة الدائمة.

وفي المبحث الثاني: تناولتُ الابتهال، ووصحتُ فيه أن الابتهال لا يكون إلا لله وحدهُ لا شريك لهُ، وأن حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهال لهُ، ثم حقيقة أن الدنيوية لا تكون إلا لله القيوم. الواحد الأحد.

**والله من وراء القصد**

# المبحث الأول
# الدعاء

الدعاء تعبير عن ظاهرة روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة بعظمة من تلجأ إليه، وعبوديتها لهُ وحاجتها للإرتباط به. ولهذا فالدعاء في اللغة يعني (أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك تقول دعوت فلاناً أدعوهُ دُعاءً أي ناديتهُ وطلبت إقبالهُ، وأصله دُعاؤٌ إلاّ أن الواو لمّا جاءت بعد الألف هُمزت)[١]

أما في الاصطلاح: فهو (طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة)[٢].

وبما قلنا إن الدعاء عبودية لله تعالى والحاجة للارتباط به فدعاء العبد ربه جلَّ جلالهُ: طلب العناية منهُ، واستمدادهُ إياهُ المعونة[٣].

ويقال: (دعوت الله أدعوهُ دعاءً، ابتهلتُ إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عندهُ من الخير)[٤].

ومن هنا نرى أن دعاء الله سبحانهُ وتعالى يوقظ القلوب من الغفلة، ويمد روح الإنسان بالتفاعل مع الحياة فتتسير الأسباب لحاجته المشروعة، وتكون لديه القوة النفسية لمواجهة المشاكل، ليكون الدعاء يعني الاعتماد على القدرة المطلقة لذات الله سبحانهُ وتعالى التي تحكم الكونين.

وللدعاء في سورةِ آل عمران حضور لافت، إذ يشيع فيها بكثافة منذ بدايتها عقب الحديث عن تأويل كلام الله المنزل في كتبهِ المقدسةِ وإيمان الراسخين في العلم بهِ على مر العصور، هولاء الذين وصفهم الله سبحانهُ وتعالى بـــ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[٥].

فوضع على ألسنتِهم الدعاء الرقيق في قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [٦]. وسيتضح ذلك لنا سياق الحال.

## المطلب الأول: سياق الحال

مما سبق نفهم من هذا المقام في ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (أن يكون من تمام الراسخين ويؤول المعنى في أفعال العبادة – ظاهرة)[٧] وهو يصور سياق الحال: ويتمثل في الظروف الإجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم، والمشتركين في الكلام أيضاً.

ويرى الدكتور تمام حسان أن (فكرة "المقام" هذهِ هي المركز الذي يدور حولهُ علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يُبنى عليه الشق أو الوجه الإجتماعي من وجوه المعنى)[٨].

ومن هنا نستطيع أنَّ نقول إن سياق الحال أو سياق المقام هو السياق الخارجيّ الذي يؤطرّ الكلام ويصفهُ في إطارٍ زماني تأريخي ومكانيّ ومقاصديّ إي: إنّ السياق الذي يؤخر الدعاء هو الهداية التي سبقت الدعاء، فجاء هذا الدعاء من أجل الابقاء عليها بعد أن استيقن الدعو ان فضل الهداية.

فنلاحظ أن سياق حال المسلمين من ربهم حقق الغاية المرجوة من الدعاء في الآية السابقة فهو (دعاء عُلِّمَه النبي –صلى الله عليه وسلم– تعليماً للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبرة ومثار لهواجس الخوف من سوءِ المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ فماهم إلاّ من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الرّاسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول المشاعر، فما كان ضلالهم إلاّ عن حرمانهم التوفيق، واللطف، ووسائل الاهتداء)[٩].

أما قوله ﴿ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [١٠] فهو (تحقيق للدعوة على سبيل التطلف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كرماً منهُ، ولا يرجع الكريم في عطيتهِ، وقد استعاذ النبي –صلى الله عليه وسلم– من السلب بعد العطاء)[١١].

فهنا يبين حال المسلمين أنهُ كما ورد الدعاء على لسان الأنبياء ورد على لسان المؤمنين أيضاً إذ (يتجه المؤمنون إلى ربهم بذلك الدعاء الخاشع ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وينادون رحمة الله التي أدركتهم مرةً بالهدى بعد الضلال، ووهبتهم هذا العطاء الذي لا يَعْدِلُهُ عطاء، وهم بوحي إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلاّ بفضل الله ورحمةُ.

وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله... فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة)[١٢] فنلاحظ هنا أن الدعاء الوارد في بداية السورة الكريمة ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [١٣] هذا الدعاء الكريم كان مسبوقاً بالفعل (يقولون) وهو فعل مضارع في قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [١٤] فهذا هو حال الراسخين في العلم من ربهم وهو الحال اللائق بالإيمان المنبثق من الطمأنينة لقول الله ووعدهِ والثقة بكلمته وعهدهِ والمعرفة بحرمتهِ وفضلهِ، ثم يتجه الخطاب القرآني بالحديث عن الذين كفروا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ

شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [١٥] فالدعاء هنا جاء بصيغة فعل أمر مباشر، وذلك باستخدام فعل الأمر (قل) والأمر[١٦] يظهر في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾ [١٧] إذ إن سياق حال الكافرين الذي يقابل دعاء المؤمنين هو التكذيب، لذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ فهو أكثر دلالة على حالهم من اعتدادهم بكثرة أولادهم وأموالهم.

## المطلب الثاني: السياق التربوي

نستنتج من سياق الحال السياق التربوي في القرآن الكريم وهو سياق جزئي، لهُ ارتباط وثيق بسياق الموقف أو المقام، وهو مختص في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها عن البواعث الفطرية الخفيفة التي من عندها يبدأ الأنحراف إذا لم تنضبط باليقظة الدائمة.

ونلاحظ إن الجانب التربوي حقق غاية في سورةِ آل عمران بالحديث عن حُب الشهوات في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [١٨]

حيثُ (يعرض النص القرآني الذي يتوالى هذا التوجيه التربوي... هذهِ الرغائب والدافع، ويعرض إلى جوارها على إمتداد البصر ألواناً من لذائذ الحس والنفس في العالم الأخر، ينالها من يضبطون أنفسهم في هذه الحياة الدنيا عن الاستغراق في لذائذها المحببة، ويحتفظون بإنسانيتهم الرفيعة)[١٩].

فالسياق القرآني يجمع وفي آية واحدة هنا (أحبَّ شهوات الأرض إلى نفس الإنسان: النساء، والبنين، والأموال المكدسة، والخيل، والأرض المخصبة، والأنعام، وهي خلاصة للرغائب الأرضية... إما بذاتها، وإما بما تستطيع أن توفرهُ لأصحابها من لذائذ أخرى... وفي الآية التالية لُعرض لذائذ أُخرى في العالم الأخر... جنات تجري من تحتها الأنهار. وأزواج مطهرة، وفوقها رضوان الله... وذلك كلهُ لمن يمدُ ببصره إلى أبعد من لذائذ الأرض... ويصل قلبهُ بالله)[٢٠].

ثم يعجب السياق التربوي من أهل الكتاب ويشهر بأمرهم في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢١)

إذ يَدَّعون أنهم على دين الله، وينقضون عهد الله بنقضهم دعوى التدين من الأساس، فلا دين غير دين الإسلام، وبهذا الجزم القاطع يقرر الله سبحانهُ وتعالى في القرآن الكريم معنى الدين وحقيقة التدين، فلا يقبل من العباد إلاّ صورة واحدة ناصعة قاطعة في السياق التربوي إلا وهو: الدين الإسلام، والإسلام التحاكم إلى كتاب الله وطاعتهُ وإتباعهُ ويكشف السياق لنا هذا من خلال التحذير والتبصير، بإنَّ الله وحدهُ مالك الملك وسنتناول هذهِ الآيات في مبحث الابتهال(٢٢).

## المبحث الثاني
## الابتهال

**الابتهال:** معناهُ التضرّع والمبالغة في المسألة، وهو بمعنى التضرّع والاجتهاد في الدعاء(٢٣) وهو (التذلّلُ والمُبالَغَة في السؤال والرغبة، يقال ضَرَعَ، يَضْرَعُ، بالكسر والفتح، وتَضرَّعَ إذا خَضَعَ وذلَّ)(٢٤)

وللابتهال في سورة آل عمران حضور لافت، إذ جاء هنا رداً على ادعاءات اليهود وتحرفاتهم فكان مسبوقاً بفعل الأمر (قل) وكذلك كل الردود التي قابل بها النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢٥)

ليتكرر فعل الأمر بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢٦)

فهنا أمر وهو ترهيب أي (ترهيب بغير استدلال صريح ولكن بالإيماء إلى الدليل وذلك في قولهِ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٢٧)

ثم بطريق التهديد والإنذار التعريض بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [٢٨] ثم أمر بالقطيعة في قوله تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾ [٢٩]).[٣٠]

فتكرار فعل الأمر هنا وهو في الفعل (قُلْ) في جانب الحِجاجِ والمجادلة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٣١]

فقوله (فقل أسلمت وجهي لله) هو (انتقال من تمهيدات سبب السورة إلى واسطة بين التمهيد والمقصد، كطريقة التخلّص، فهذهِ تخلّص المحاجّة وفد نجران في أول سورة آل عمران)[٣٢]، ونجد أن كلمة (فبشرهم) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ [٣٣]

أمر يقترب من الفعل (قُلْ) لكن الفارق أن (قُل) فيما سبق كادت تحمل سياقاً أطول، أما (فبشرهم) فكان (المقام مقام ملام لا توبيخ، ومقام لا تنديم، وإما شاكلة تقديرية لأنّهم لما خرجوا للحرب خرجوا طالبين الثواب، فسلكوا مسالك باءوا معها بعقاب)[٣٤]. وفيما يبدو أن نكتة هذه المشاكلة (أن يتوصل بها إلى الكلام على ما نشأ عن هذا الفمّ من عبرة، ومن توجّه عناية الله تعالى إليهم بعدة)[٣٥]

فالسياق هنا هو (تقرير مصير الذين كفروا، وسنة الله تعالى التي لا تتخالف في أخذهم بذنوبهم، وإلى تهديد الذين كفروا من أهلِ الكتاب، ويقفون لهذا الدين، ويلقن الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– أن ينذرهم ما رأوهُ بأعينهم في غزوة بدر من نصر القلة المؤمنة على حشود الكافرين)[٣٦]

أما سياق حال المتقين من ربهم في قوله تعالى ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [٣٧]

فقد كان حالهم يخصصون الأستغفار بالأسحار، لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع[٣٨]. وهو حال استحقوا عليه هذا الرضوان وفي دعائهم ما ينمُ عن تقواهم، وهو إعلان للإيمان، وشفاعة به عند الله، وطلب المغفرة، وتوق من النيران[٣٩].

ونستنتج من هذا أننا بينى حال المؤمنين الذين يتضرعون إلى الله بالدعاء لطلب المغفرة ورضوان الله تعالى.

ومن ثم جاء الابتهال منسقاً بدأ بوصفِ أحوال العباد من حيث الإيمان وعدمهِ، والطاعةِ، والعصيانِ، وموقف النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي يجسد موقف الأديان كلها في ابتهالهِ في الآيتين بقولهِ تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٤٠]

فالسياق يتبين هنا أنه (نداء[٤١] خاشع... في تركيبهِ اللفظي إيقاع الدعاء. وفي ظلالهِ المعنوي روح الابتهال. وفي التفاتاتِه إلى كتاب الكون المفتوح استجاشة للمشاعر في رفقٍ وإيناس، وفي جمعهِ بين تدبير الله وتصريفه لأمور الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة: حقيقة الألوهية الواحدة القوامة على الكون والناس، وحقيقة أن شأن الإنسان ليس إلا طرفاً من شأن الكون الكبير الذي يصرفهُ الله وأن الدنيونة لله وحده هي شأن الكون كلهُ كما هي شأن الناس)[٤٢]

فيجب أن يكون الابتهال لله وحدهُ لا شريك لهُ في الحياة على الإطلاق ويبين لنا في التعبير التصويري لهذهِ الحقيقة الكبيرة في قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٤٣] فـ(التعبير التصويري لهذه الحقيقة الكبيرة يملا بها القلب، والمشاعر، والبصر، والحواس: هذهِ الحركة الخفيفة المتداخلة، حركة إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي... الحركة التي تدل على يد الله بلا شبهة ولا جدال، متى ألقى القلب إليها انتباهه، واستمع فيها إلى صوت الفطرة الصادق العميق)[٤٤]

وتتبين حقيقة الابتهال في قوله تعالى: ﴿ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ إنها اللمسة التي ترد القلب البشري في الابتهال إلى الحقيقة الكبرى، حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهال لهُ، ثم حقيقة أن الدينونة لا تكون إلا لله القيوم، مالك الملك، المعز المذل، المحي المميت، المدبر لأمر الكون والناس بالقسط والخير على كل حال[٤٥].

## الخاتمة

بحمد الله وبركاته ختمتُ بحثي هذا، والذي عشتُ في رحابه رحلةِ ممتعة مع الله، وكلامهِ العظيم، والذي توصلت بهِ إلى النتائج الآتية:

إن الدعاء هو تعبير عن ظاهرةٍ روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة بعظمة من تلجأ إليه، فالدعاء هو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك إلى الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.

أما الابتهال فهو التضرع والتذلّلُ إلى الله، والمبالغة في السؤال.

تناول البحث مبحث الدعاء، وتوصلت فيه إلى سياق الحال، والسياق التربوي، وقد وضحت في سياق الحال، حال المسلمين في الدعاء أنهُ كما ورد الدعاء على لسان الانبياء، ورد على لسان المؤمنين إلى ربهم.

أما السياق التربوي فقد ناقشتُ فيه مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تنضبط باليقظة الدائمة.

أما المبحث الثاني: فقد أختص بالابتهال، وقد جاء الابتهال متسقاً بدأ بوصف أحوال العباد من حيث الإيمان وعدمهِ، والطاعةِ، والعصيان وموقف النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– الذي يجسد موقف الأديان كلها.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربُّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آلهِ وصحابتهِ والتابعينِ أجمعين.

**الباحثة**

**هوامش البحث ومصادره:**

(١) الصحاح: للجواهري مادة (دعا) ٢٣٣٧/٦، وينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس مادة (دعو) ٢٧٩/٢، وأساس البلاغة: للزمخشري: مادة (دعو) ٢٨٨/١، ولسان العرب: لابن منظور: مادة (دعا) ٢٥٧/١٤، والقاموس المحيط للفيروز آبادي: مادة (دعا) ١٢٨٢/١، ومفردات الراغب: للأصفهاني: ١٧٠/١.

(٢) عدة الداعي: لابن فهد الحلي: ١٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٢٦٦/٥.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للحموي: ١٩٤/١.

(٥) آل عمران: الآية: ٧

(٦) آل عمران: الآية: ٨

(٧) روح المعاني: للآلوسي: ٨٧/٢.

(٨) اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان عمر ٣٣٧/١.

(٩) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٦٩/٣.

(١٠)آل عمران آية: ٨.

(١١) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٧٠/٣.

(١٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧١/١.

(١٣) آل عمران: الآية: ٨.

(١٤) آل عمران: الآية: ٧.

(١٥) آل عمران: الآيات: ١٠-١٣.

(١٦) يحدد في شروع التلخيص أن الأمر: هو طلب فعل طلباً جازماً على جهة الاستعلاء، ينظر: شروح التلخيص ٣٠٨/٢، والأساليب الإنشائية: د.صباح دراز: ص١٥، وأساليب بلاغية: د. أحمد مطلوب: ص١١، ومعنى الاستعلاء: (عد الأمر نفسهُ عالياً سواء كان عالياً في نفسه أم لا، مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص: ٣١٢/٢.

(١٧) آل عمران اية: ١٢.

(١٨) آل عمران آية: ١٤.

(١٩) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٣/١.

(٢٠) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٣/١.

(٢١) سورة آل عمران: الآيات: ٢١-٢٥.

(٢٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٧/١.

(٢٣) ينظر: جامع الأصول: لابن الأثير: ١٤٧/٤.

(٢٤) لسان العرب: لابن منظور: ٢٢٢/٨.

(٢٥) آل عمران آية: ١٤.

(٢٦) آل عمران آية: ١٥.

(٢٧) آل عمران آية: ٢١.

(٢٨) آل عمران آية: ٢٦.

(٢٩) آل عمران آية: ٢٨.

(٣٠) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢٩/٣.
(٣١) آل عمران آية: ٢٠.
(٣٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢٩/٣.
(٣٣) آل عمران آية: ٢١.
(٣٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٣١/٤، ١٣٢.
(٣٥) المصدرنفسه: ١٣٢/٤.
(٣٦) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧١/١.
(٣٧) آل عمران: الآيتان: ١٧ و ١٨.
(٣٨) ينظر: روح المعاني: للآلوسي: ٩٩/٢.
(٣٩) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣٢٨/٣.
(٤٠) آل عمران آية: ٢٦.
(٤١) يحدد د.أحمد مطلوب ود.حسن البصير معنى النداءبقوله: (هو للتصويت بالمنادى ليُقبل، أو هو طلب اقبال المدعو على الداعي)، البلاغة والتطبيق: ص١٤٠، كما يرى السيدأحمد الهاشمي النداء هو (طلب إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي)) جواهر البلاغة: للسيد أحمد الهاشمي: ص٨٢.
(٤٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٤/١.
(٤٣) آل عمران آية: ٢٧.
(٤٤) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٤/١.
(٤٥) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٥/١.

## المصادر والمراجع


١. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغة في القرآن: د.صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة بمصر، ط/١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣. أساليب بلاغية: د.أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات بالكويت، ط/١، ١٩٨٠م.

٤. البلاغة والتطبيق: د.أحمد مطلوب، ود.حسن البصير، ط/٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

٥. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، التتمة، تحقيق: بشير عيون الناشر: مكتبة الحلواني، مطبة الملاح: مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٠هـ-١٩٧٠م.

٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٨. حاشية الدسوقي على مختصر السعد: محمد بن محمد بن عرفةّ الدسوقي (ت١٢٣٠هـ)، طبع ضمن شروح التلخيص، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ.

١٠. شروح التلخيص: طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

١١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجواهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢. عدة الداعي: أحمد بن فهد الحلي (ت٨٤١هـ)، تحقيق: أحمد الموحدي، بدون طبعة.

١٣. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط/١٧، ١٤١٢هـ.

١٤. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار النشر، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٦. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
١٧. اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط/٥، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
١٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٠. مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٣، ١٤٢٠هـ.
٢١. مفردات غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، موقع يعسوب.